

المثقف والبراديغم الثوري وتفعيل الحقل المعرفي

The intellectual and the revolutionary paradigm and the activation of the field of knowledge

الدكتور عمار قاسمي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Received:06/07/2017

Accepted: 02/04/2019

Published:23/06/2019

مستخلص: يهدف هذا البحث إلى إعادة بناء مفهومين أساسيين (المثقف والثورة) بناءً منطقيًا معرفيًا، لغرض إزاحة الغموض واللبس عنهما والكشف عن الآليات التي تتحكم فيهما، والعلاقة التي تربط بينهما. كما يهدف إلى الكشف عن العلاقة الوظيفية التكاملية بين المثقف والبراديغم والحقل المعرفي والجماهير العريضة؛ فالمثقف لا بد أن يقتدي ببراديغم معين، والحقل المعرفي يجب أن يكون مُفَعَّلًا حتى يحتوي المثقف والجمهور على السواء. وهذا الأخير لا يتم تفعيله إلا بمزاوجة المثقف بين ثقافته وواقعه، وانصياع الجمهور للمثقف ثقة واقتداء وعملا.

كما يهدف إلى بحث معاملات المعادلة الثورية؛ المستبد، المستضعف أو المظلوم، مختلف الأجهزة الفكرية المسيرة والموجهة والمستشرفة للثورة..

علاوة على ذلك يهدف هذا البحث، إلى دراسة الأسباب الداخلية والخارجية التي تقف وراء انحراف الثورة عن مسارها، وانقلاب أهدافها إلى نقيض ما تنغيها.

Abstract : the aim of this research is to rebuild two fundamental concepts (the intellectual and the revolution)- a logical and rational construction-so as to relieve ambiguity and suspicion from them as well as to expose the mechanisms which control them and the relation that ties them.

It also aims at showing the complementary and functional relationship between the intellectual and paradigm on one hand, and on the other hand, between the intellectual and both the field of knowledge and the large populations. The intellectual must follow a given paradigm and the field of knowledge has to be operational so as to fit both the intellectual and the audience. This latter is not activated until the intellectual distinguishes between his culture and his reality and the obedience of the people to the intellectual as far as trust, work and discipline are concerned.

This research also aims to look for the transactions the revolutionary equation : the dictator, the weak and the oppressed, the different mental systems that monitor and manage the revolution.

In addition, it tends to study the internal and external factors which cause the deviation of the revolution from its path and the turning of its set objectives towards the reversed ones.

الكلمات المفتاحية: المثقف، البراديغم، الثورة، الحقل المعرفي

المقدمة

على الرغم من اختلاف مفهوم الثورة باختلاف العقائد والمذاهب الفكرية، إلا أن هناك خصائص مشتركة يمكن أن توضح خطأ جامعا لمفهوم عام إذا تم انتهاج طريقة التعريف وإعادة التعريف، كان تحديده تحديدا منطقيا جامعا مانعا، فالثورة تقتضي وجود طبقتين؛ المستبد والمستضعف، الثورة لا بد لها من جهاز فكري يؤطرها ويقودها، لا بد لها من جهاز نقدي يترصدها بحركتها يقوّمها ويصحح مسارها، كما لا بد لها من جهاز فكري آخر يستشرف ما بعد الثورة حرصا على الاستفادة من ثمارها واستمرار روحها والوقوف ضد من يريد استغلالها والتشويش عليها من الداخل والخارج، الثورة لا بد لها من رجال، وتنفجر الثورة أخيرا حين يبلغ تراكم المظالم العتبة القصوى حيث نقطة اللا رجوع، وتبدأ أهدافها وغاياتها؛ كالتجديد والتغيير وتجاوز الاستبداد وإسقاط أنظمة الحكم ونشر العدالة وغيرها، في التحقق على أرض الواقع.

من هنا يتضح أن الحديث عن المثقف الثوري يجب أن يصحبه الحديث عن الحقل المعرفي والبراديجم الذي يوجهه، فلا يكفي وجود المثقف الثوري فقط بل لا بد من تفعيل الحقل المعرفي حتى يحتضن أفكاره الثورية كي تنسجم والبنية المجتمعية لأمته، فالانقلاب في سيرورة الثورة يجعل المجتمع يركن في وضعية فراغ الزمان والمكان، ويتحول الإنسان فيها من دور الفاعل إلى دور المنفعل، ومن دور الباني إلى دور الجاني ومن حالة التناغم والانسجام إلى حالة الاغتراب ومن سلوك التجاوب إلى سلوك الارتكاس والتنازع؛ فالعجز عن تحديد الضابط المعرفي للثورة وتحديد ركائز الأخلاقية، وعدم التكافؤ بين الشرط المعرفي والشرط النفسي والشرط المنهجي والواقعي، والعجز عن إعداد الرجال الذين يخوضون غمارها، يؤدي إلى استمرار الفراغ الزماني والمكاني والشلل الحركي، فتقطع الصلة بين هويته الحضارية ودوره الاجتماعي اليومي، فيفقد

المجتمع في هذه الحالة كل صلة بمرجعياته التاريخية والعلمية والفكرية ويتحول إلى مجرد مستوعب غير فاعل.

وفي الجهة المقابلة يجد المثقف الذي أمتلك زمام المعرفة، نفسه غريبا عن مجتمعه فيضطر إلى الهجرة هربا من القمع أو القتل أو الحرق مثل ما حصل للإمام الطبري الذي قُتل رجما، والعلامة ابن خلدون الذي فر مختبئا في مغارة بني سلامة على طريقة أصحاب الكهف، وابن رشد الذي أحرق مع كتبه وغيرهم كثير، كل هذا بسبب مجتمعاتهم المصابة بالسكتة المعرفية.

مصطلحات الدراسة: المثقف الثوري: الذي اكتسب المعرفة وأمتلكها

وأكتسب صفة الفاعل في الوجود الحضاري. والحقل المعرفي: الذي يتمثل في التراث الفكري والثقافي والرصيد القيمي للأمة والذي هو مسؤول عن احتواء المثقف والجمهور على السواء. والبراديغم: الذي يمثل النموذج المثالي والأسوة الحسنة والذي هو بمثابة مُفَعَّل للحقل المعرفي وضابط له، وموجه للمثقف والمجتمع على السواء. والمجتمع: الذي يجب أن ينضبط بقيمه الثقافية ومرجعياته العقديّة والمعرفية حتى تكون له صفة الحركة، فيساهم في حركة التاريخ والإمساك بزمام الحضارة. وصفة الانسجام والتراسخ حتى يصبح كالجسد الواحد مع نخبته المثقفة.

السؤال الإشكالي: ما هي العلاقة التي تحكم المفاهيم التالية: المثقف،

الثورة، البراديغم، الحقل المعرفي؟ وما هي آليات تفعيلها؟ وتوجيه الضابط المعرفي الذي يحكمها؟ وكيف يمكن للمثقف أن يوطر الثورة وينفذها ويتحكم في حركتها ويحقق أهدافها ويحميها من كيد الكائدين ويستفيد من ثمارها؟

الأسئلة المشكّلة: من هو المثقف؟ وما الفرق بينه وبين العالم؟. وما هي الثورة؟ وما علاقتها بتراكم المظالم؟ وما هو البراديغم؟ وما علاقته بالمثقف والحقل المعرفي؟. وما هو الحقل المعرفي؟ وما هي آليات تفعيله؟ وكيف يؤدي إلى احتواء المثقف والمجتمع على السواء؟ وكيف يمكن للمثقف أن يؤطر الثورة ويقودها؟ كيف له أن ينقد مسارها ويصحح حركتها؟ وكيف له أن يستفيد من ثمارها ويحميها من المتربصين بها؟

خطة البحث: يتكون البحث من ثلاثة مباحث، اختص الأول بالبراديغم والثورة وتناول الثاني العلاقة بين الثقافة والمثقف، وأهتم الثالث بالبراديغم الثوري والحقل المعرفي.

أهمية البحث: أولاً: المعامل الإنساني هو العنصر الأساسي في المعادلة التاريخية إلى جانب الجغرافيا والزمن، والشرارة (الدين) التي تؤدي إلى تفاعل هذه العناصر في وحدة واحدة هي الحضارة.

ثانياً: المثقف بالنسبة للمعامل الإنساني، هو الذي يمثل قمة الهرم، لأنه هو الذي ينتج الأفكار، التي تنعكس على الجماهير العريضة فتجسدها في الواقع المعيش، فيحصل التغيير العمودي والأفقي.

ثالثاً: نجاح الفكرة وفعاليتها لا يرتبط بالمثقف وحده، وإنما يتعلق بالبراديغم الذي يفكر في إطاره، والحقل المعرفي الذي يحتوي هذه الأفكار ويحتضنها حتى تنعكس على الأشخاص، فيجسدونها في الواقع. وإلا كانت مفارقة الفكر للواقع.

رابعاً: الكشف عن حقيقة ما يجري في العالم العربي من حركات، اتخذت تسميات مختلفة؛ الربيع العربي، الثورات التغييرية..

أهداف البحث: أولاً: إن هدف الدراسة الأساسي هو البحث عن الخيوط الرفيعة التي تربط معاملات المعادلة التاريخية، وبالتالي معاملات المعادلة الثورية؛ المستبد، المستضعف أو المظلوم، مختلف الأجهزة الفكرية المؤطرة والموجهة والمستشرفة للثورة..، لأن الثورة في النهاية -وخاصة المعرفية منها- هي التي تعيد للتاريخ حركته.

ثانياً: كما تهدف إلى إعادة بناء مفهومي أساسيين (المثقف والثورة) بناء منطقياً معرفياً، لغرض إزاحة الغموض واللبس عنهما والكشف عن الآليات التي تتحكم فيهما، والعلاقة التي تربط بينهما.

ثالثاً: كما تهدف إلى الكشف عن العلاقة الوظيفية التكاملية بين المثقف والبراديغم والحقل المعرفي والجماهير العريضة؛ فالمثقف لا بد أن يقتدي ببراديغم معين، والحقل المعرفي يجب أن يكون مُقَعَّلاً حتى يحتوي المثقف والجمهور على السواء، وهذا الأخير لا يتم تفعيله إلا بمزاوجة المثقف بين ثقافته وواقعه، وانصياع الجمهور للمثقف ثقة واقتداء وعملاً.

رابعاً: علاوة على ذلك تهدف الدراسة إلى بحث الأسباب الداخلية والخارجية التي تقف وراء انحراف الثورة عن مسارها، وانقلاب أهدافها إلى نقيض ما تتغياها.

الأسباب الدافعة للبحث: أولاً: التباس الكثير من المفاهيم خاصة مفهوم الثورة من جراء ما يحصل اليوم في العالم الإسلامي.

ثانياً: انحراف الكثير من الثورات عن مسارها وتحويلها إلى فوضى عارمة، تهددها ثورات مضادة، وتتدخل في شؤونها قوى محلية وإقليمية، تسييرا وتوجيها وتمويلا.

ثالثا: تراكم المظالم من الداخل والخارج: المظالم الداخلية المتمثلة في الاستبداد وقمع الحريات.. الصادرة عن الحكام والسلطة السياسية، والمظالم الخارجية المتمثلة في الغزو الثقافي الذي تمارسه القوى المهيمنة الماسكة بزمام الحضارة.

رابعا: السنة الإلهية في ظهور العوارض والمآخذ على الأنظمة البالية، مما يجعل الحاجة إلى التجديد والتغيير أمر طبيعي، وهذا سبب أساسي يدفع للبحث عن الآليات والعوامل التي تتحكم في الثورات.

الدراسات السابقة: على الرغم من العدد الكبير للدراسات والأبحاث التي أنجزت حول الثورات، سواء التي حصلت في الماضي، مثل ثورة التحرير الجزائرية، والثورة الفرنسية..، أو التي تحصل اليوم مثل التي أطلق عليها اسم الربيع العربي، إلا أن أغلبها اهتم بالأسباب الخارجية، أما الاهتمام بالأسباب المضمونية الداخلية، أو المنطق الداخلي الذي يتحكم في هذه الثورات، فنادر جدا بل يكاد ينعدم، مما يجعل هذه الدراسة التي تهدف إلى البحث عن الرابط الموجود بين المثقف والبراديعم والحقل المعرفي والثورة والمجتمع، تتسم بنوع من الجدة، نتمنى أن نكون موفقين لإنشاء الله.

منهج الدراسة: اعتمدت في هذا البحث عدة مناهج وآليات أهمها: المنهج التحليلي الاستنباطي: وذلك في تحليل بعض القضايا المعرفية المرتبطة بالموضوع. المنهج المقارن: الذي وظيفته كلما دعت الضرورة إلى المقارنة بين مختلف الثورات.

المنهج الاستقرائي: وذلك إذا تعلق الأمر بفحص قضايا الواقع وتحليلها واستخراج بعض السنن الضابطة لسيره.

المنهج الفني اللغوي: الذي استعملته عند تحليل بعض النصوص الثورية، وتحديد المعاني التي تتضمنها، ودراسة لغتها وما تحتويه من معاني ظاهرة وباطنة. أما بالنسبة للآليات المنهجية: فاستعملت آلية التعريف وإعادة التعريف حين تعلق الأمر بإعادة بناء المفاهيم، وآلية التعريف بالمقابلة وآلية التعريف بالحد في ضبط المفاهيم وتحديدتها.

في نهاية هذا الملخص المتواضع الذي لا يزعم الاكتفاء بذاته ولا يدعي تميزا وكمالا، ولا ينافس جهدا ثانيا، ولا يسعى أن يكون بديلا، وإنما هو لمن في بابه عاضد ولمن بجواره مساند، حتى يستطيع أن يضع الحقيقة موضعها، والله يتولى الجميع بالسداد والتأييد وهو من وراء القصد.

المبحث الأول: البراديجم والثورة.

أولا: مفهوم البراديجم

1-الأصل اللغوي الإفرنجي: لفظ "براديجم" paradigm مأخوذ من الكلمة اللاتينية paradigma أو paradeigma التي اشتقت من الأصل اليوناني paradeiknynai التي كانت تستعمل في مجال اللغة لتدل على معنيين: المعنى الأول يشير إلى الأعمال الأدبية التي نالت حضا من القبول والرواج، فأصبحت مثلا يقتدي به، وينسج على منواله، ويعتد به، وقد استخدمها أرسطو في فن الخطابة لتدل على المزيد من الإقناع، الذي يجذب المتلقي ويؤثر فيه.

ثم انتقل هذا المصطلح إلى المجال الفلسفي وكان له شروط أخرى، غير أن معناه لم يتعد كثيرا عن المعنى الذي استخدم في المجال الأدبي، فكان "البراديجم" هو

المثال أو النمط الذي يعتد به وينسج على منواله ويحتذي به⁽¹⁾. والمعنى الثاني يدل على مجموع الصيغ الصرفية لجذر معين، وبشكل خاص تصريف الأسماء والأفعال، وهو بهذا المعنى يقابل ميزان الصرف في اللغة العربية، وقد أشار (كون) إلى أنه استعار المصطلح من قواعد اللغة⁽²⁾.

وأول استخدام لهذا المصطلح في الإنجليزية كان في القرن الخامس عشر الميلادي، بالمعنى الثاني أي مجموع القواعد النحوية والصرفية التي تحكم لغة من اللغات، والتي تنضبط بها مختلف الكتابات الإنشائية⁽³⁾، وفي هذا السياق الخاص بعلوم اللغة، استخدم فرديناند ديوسوسير⁽⁴⁾ كلمة "باراديغم" لتشير إلى طائفة من العناصر ذات الجوانب المتشابهة، وهو المفهوم الذي كان له دور كبير في تبلور البنيوية واتجاهاتها، ذلك أنه انطلق من مسلمة يريد بها معالجة كل الناتج الإنساني في مجال اللغة، قال: "إن مادة اللسانيات تشمل كل مظاهر اللسان البشري سواء

1- منير البعلبكي: قاموس المورد، دط، دم، paradigm، ص656.

2- توماس كون: تركيب الثورات العلمية، تر: ماهر عبد القادر محمد، بيروت: دار النهضة العربية، 1988، ط 1، ص57. أيضاً راجع:-

شايبير دالي: المعنى والتغير العلمي في الثورات العلمية، تر: السيد نفاذي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1996.

2- <http://www.merriam-webster.com/dictionary/paradigm>.

3- فردينان دي سوسير Ferdinand de Saussure (1857-1913)م عالم لغويات سويسري يعتبر الأب والمؤسس لمدرسة البنيوية في اللسانيات، ويعتبر من أشهر علماء اللغة في العصر الحديث حيث اتجه بتفكيره نحو دراسة اللغات دراسة وصفية باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية وكانت اللغات تدرس دراسة تاريخية، وكان السبب في هذا التحول الخطير في دراسة اللغة هو تبنيه لفكرة البراديغم واكتشاف اللغة السنسكريتية.

أتعلق الأمر بالشعوب البدائية أو الحضارية، أو بالعصور القديمة أو بعصور الانحطاط"⁽¹⁾، فقاده ذلك إلى دراسة اللغة باعتبارها مجموعة من العناصر . لا مجموعة من الكلمات . التي تربطها عدة علاقات، بحيث تصبح هذه العناصر لا معنى لها في ذاتها وإنما معناها في ارتباطها ببعضها وكل تغيير يصيب عنصرا منها يظهر أثره على سائر العناصر الأخرى، بل على النظام كله، ذلك أن دي سوسير يعتبر اللغة بنية أو نظام أو هيكل.

كما أن الأنثروبولوجي البنيوي كلود ليفي شتراوس⁽²⁾ قد اعتمد في تحليلاته البنيوية الأنثروبولوجية للمجتمعات القديمة على فكرة "البراديجم" التي يتم تكوينها انطلاقا من مجال النماذج اللغوية⁽³⁾. وعموما فإن "البراديجم" في أصله اللغوي هو المثال الذي يقتدي به وينسخ على منواله.

4-ferdinand de saussure: cours de linguistique générale, édition critique préparée par Tulio De Mauro, Payot; Paris, P20.

² - كلود ليفي شتراوس Claude Lévi-Strauss (1908-2009)م عالم اجتماع فرنسي، بدأ ليفي ستروس تكوينه بدراسة الفلسفة، غير أن هذه النظريات المجردة الاعتبارية البعيدة عن الواقع الاجتماعي ما لبثت أن خيبت آماله، فسافر إلى البرازيل حيث درّس علم الاجتماع واكتشف أعمال علماء الإنسان الأميركيين (غير المعروفة في أوروبا آنذاك) مثل بواس و كروبر و لوي. وبعد عودته إلى فرنسا سنة 1948 قدّم أطروحته المتعلقة بالمشاكل النظرية للقرابة (1949). انتخب أستاذاً في كوليج دو فرانس سنة 1959 وشغل كرسي الأنثروبولوجيا الاجتماعية الذي كان ل مارسيل موس من قبله، فكان لأعمال ليفي ستروس وتعليمه أثر بليغ في مجال علم الإنسان والتحقيق الإثنولوجي الميداني. راجع

³ - زكريا إبراهيم: مشكلة البنية، القاهرة: دار مصر للطباعة، 1972، ط1، ص80،79.

2- من حيث الاصطلاح: بدأ استعمال "البراديغم" بمفهومه الجديد، في

الثقافة الألمانية، من طرف ماكس فيبير، حين شرع في دراسة المعاني الذاتية للظواهر الاجتماعية، وأسس تصوره على مفهومين: "البراديغم المثالي" و"نظرية التنظيم"، و"البراديغم المثالي" عنده هو المجموع الكلي للمفاهيم التي يضعها الباحث في العلوم الإنسانية بصورة موضوعية بعيدة عن التحيز لتحقيق أهداف البحث، فهو بناء عقلي لمفاهيم مجردة لا يوجد له نظير في الواقع التجريبي⁽¹⁾. فالبراديغم إذن وسيلة لتحليل الأحداث التاريخية، أو فهم الواقع التجريبي للظواهر الاجتماعية، من خلال المقارنة بين المواقف الواقعية في الحياة والأفعال التي هي محل الدراسة، وبهذا يمكن الحصول على العلاقات السببية التي تحكم عناصر "البراديغم المثالي"، فهو ليس فرضاً بل إنه يوجه الباحث لوضع الفروض، وهو ليس وصفاً للواقع بل يستهدف توفير الوسائل للتعبير عن الواقع، وهذا يتطلب أن تكون المفاهيم محددة بدقة وواضحة إلى أبعد الحدود لكي تستطيع مواجهة البراديغمات المثالية الأخرى. غير أن هذه الأفكار لم يكتب لها الزواج والانتشار لعدة أسباب منها الظاهر ومنها الخفي، لا يتسع المجال لذكرها.

ولعل الزيارات المتكررة إلى أمريكا من طرف ماكس فيبير، هي السبب في انتقال مفهوم "البراديغم" إلى الثقافة الأنجلوسكسونية، ففي أوائل الستينيات من القرن العشرين، استخدم الفيلسوف الأمريكي توماس كون هذه الكلمة في فلسفة العلوم، غير أنه في كتابه (بنية الثورات العلمية) لم يحدد لها تعريفاً منطقياً جامعاً مانعاً مما

¹ - السيد الحسيني: النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم، القاهرة: دار المعارف، 1975،

جعلته مفهوم محاط باللبس والغموض، قال دالي شايبير D.Shapere "البراديغم مصطلح غامض وملتبس بحيث لا يمكن الإمساك به بسهولة، وعام جداً بحيث يصعب تطبيقه، ومبهم جداً بحيث لا يمكن تفسيره بسهولة"⁽¹⁾، وقد اعترف توماس كون نفسه بأنه استخدم هذه الكلمة في معنى مبهم و غامض، في حاشية كتابه (بنية الثورات العلمية) طبعة عام 1970م، حين ميز بين معنيين: معنى عام أسماه "القلب الإنضباطي" أو "النظرية"، ومعنى خاص أطلق عليه لفظ "مثال".

ثانياً: الثورة وبراديغم "الفوضى البناءة"

1- علاقة البراديغم بالثورة: لعل تبني فردينان دي سوسير لمعنى

"البراديغم" في أصله اليوناني هو الذي قاده إلى الفكر الثوري، الذي جر الدراسة اللغوية نحو نقطة الارجوع، من خلال إنشاء علم اللسانيات الحديث، الذي يمثل مرحلة التأسيس التي من دونها تتعطل مسيرة الدراسات اللسانية اللاحقة، إضافة إلى إرساء قواعد البنيوية واتجاهاتها، وهكذا سيطر "البراديغم" اللغوي لديسوسير فغدت: "البنيوية في أساسها نظرية في المعرفة، تؤكد أهمية "البراديغم" ذو البناء في كل معرفة علمية وتجعل للعلاقات الداخلية والنسق الباطني قيمة كبرى في اكتساب أي علم"⁽²⁾، لا لشيء إلا لأن المصطلح "براديغم" الذي استخدمه ديسوسير لم يخرج عن النسق المفاهيمي والإطار المعرفي والواقعي لثقافته، هذا الفكر الثوري الذي ظهر أيضاً في المدرسة الألمانية عند ماكس فيبير، والمدرسة الأنجلوسكسونية عند توماس

1- شايبير دالي: المرجع السابق، ص35.

2- وفاء محمد كامل: البنيوية في اللسانيات، مجلة عالم الفكر، المجلد 26، العدد2، أكتوبر -

ديسمبر 1997، ص221.

كون. غير أن تبنيه للنظرة الثنائية التي ورثها من الفكر اليوناني عموماً ومن أرسطو وديكارت⁽¹⁾ على الخصوص قادته إلى الاهتمام بالجانب الوصفي للغة وإهمال الجانب التاريخي، يقول عبد الكريم زكي حسام: "أن النظرة الوصفية في دراسة اللغة كما حددها ديسوسير ترفض التفسير التاريخي للظواهر اللغوية لأن الزمان ليس هو العامل الفصل في دراسة الأشياء، بل إن الزمان هو مجرد إطار لها، أما علة التغيير الذي يطرأ على هذا العنصر أو ذاك من عناصر اللغة ذاتها، تكمن من جهة في طبيعة العناصر المركبة لها في لحظة معلومة، ومن جهة أخرى في العلاقات البينية القائمة بين تلك العناصر"⁽²⁾. وبهذا التبني لمصطلح "براديغم" انخر فكر ديسوسير نحو هوس التقسيم⁽³⁾، فقد بذل جهداً فكرياً عميقاً، وحاول أن يتصور النظرية اللسانية تصوراً شاملاً من أجل أن يستخرج أوجه التناقض في اللغة، ويجمع المفاهيم في أزواج متقابلة، وهذه هي مرحلة التجريد من مراحل بناء البراديغمات، أو ما سمي بال نماذج المعرفية.

وعن الظروف والملايسات التي أدت بتوماس كون إلى استعارة مفهوم "البراديغم" من الثقافة الألمانية، صرح بها هو نفسه في التصدير الذي كتبه في كتابه: (بنية الثورات العلمية) في 1962م. حيث لاحظ عن قرب، الاختلاف والجدل القائم بين مختلف الجماعات العلمية، خاصة علماء الاجتماع وعلماء الطبيعة حول

¹ - راجع: - أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2002، ص121.

² - عبد الكريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1985، ط2، ص54.

³ - راجع: - أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، سوريا: دار الفكر، 1999، ط2، ص20.

المنطلقات والمسلمات العلمية والقضايا الأساسية الخاصة بالبحث، بمركز الدراسات العليا في قسم العلوم السلوكية، بعد دراسة تاريخ العلم، حيث قال: "وإن محاولتي الكشف عن مصدر ذلك الإختلاف قادتني إلى أن أدرك الدور الذي يلعبه في البحث العلمي ما سميت منذ ذلك الحين "بالبراديغمات"، وقد اعتبرت هذه إنجازات علمية معترف بها عالمياً، بحيث أنها وفرت ولمدة من الزمن مسائل براديغمية وحلولاً لهذه الجماعة العلمية أو تلك"⁽¹⁾. ومن هذا التصريح يمكن استخراج المقتضيات الأساسية التي دفعت إلى عادة بناء هذا المفهوم:

المقتضى الأول: الاختلاف والجدل القائم بين علماء العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية من جهة وعلماء العلوم الطبيعية من جهة أخرى، حول الأسس والمبادئ والمنطلقات الأساسية للبحث العلمي.

المقتضى الثاني: حتى لا يتحول هذا الاختلاف والجدل إلى خلاف ظهرت هناك ضرورة لوضع مرتكزات ونظريات تكون محل اتفاق خاصة ما يتعلق بالأسئلة الكبرى من أين؟ ولماذا؟ وإلى أين؟ وهذا ما أسماه (كون) "المسألة البراديغمية".

المقتضى الثالث: تبلور هذه المرتكزات المتفق عليها وتحويلها إلى "براديغم" مهمته قيادة الأبحاث في مختلف ميادين المعرفة.

المقتضى الرابع: ظهور مصطلح "الجماعة العلمية" التي تحولت إلى سلطة معرفية تمارس صلاحية الاتفاق وقبول البراديغم، حيث تتحول تلك المرتكزات

¹ - توماس كون: بنية الثورات العلمية، تر: حيدر حاج إسماعيل، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007، ط1، ص44.

والنظريات التي كانت محل اتفاق إلى بنيات في شكل براديجمات نظرية ينصاع لها الجميع.

فلقد حدا توماس كون حذو سابقه منطلقا من بناء المفاهيم، لأن تأسيس البراديجم في مجمله هو إعادة بناء المفاهيم.

2- براديجم "الفوضى البناءة": الفوضى لفظ مثقل بالدلالات السلبية منها

التفريق والخلط والتشتيت والهدم والقتل وعدم الاستقرار وغياب الحاكم⁽¹⁾.
و"البناء" لفظ مثقل بالدلالات الإيجابية، منها التشييد والخلق والإبداع⁽²⁾،
لهذا فالجمع بينهما من الناحية المنطقية يعتبر تناقضا، لكن العقل الاستراتيجي
الأمريكي في تعامله مع العالم الإسلامي، تجاوز جميع الضوابط المنطقية والعقلية، وأعاد
بناء مصطلح، جمع فيه بين متناقضين "الفوضى، البناءة"، فكرته تمتد أصولها إلى
براديجم قديم أرسى قواعده الفيلسوف الإيطالي ميكيافلي (NicolasMachiavel)
(1527-1469)م⁽³⁾، ونضجت معاملة عند الماسونية⁽⁴⁾، بعد تراجع أهداف الثورة

1- ابن منظور: لسان العرب، بيروت: دار صادر، 2003، ج4، حرف الفاء، (فوض).

2- المصدر نفسه، ج2، حرف الباء، (بنى).

3- راجع:- <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=112078> توفيق أبو شومر:

ميكيافيلي مؤسس نظرية الفوضى الخلاقة. كذلك في كتاب "الأمير" قدم ميكيافيلي مجموعة من
النصائح للأمير جمع فيها بين متناقضين؛ أن يظهر الأمير للعامة في صورة المتدين التقي العادل وفي
نفس الوقت يمارس جميع الشرور ويقتدي ببطش الأسد ومكر الثعلب.

4- الفوضى الخلاقة.

الفرنسية وتحويلها إلى فوضى امتدت إلى دول أوروبا⁽¹⁾، ثم أعاد بناءه المؤرخ الأمريكي (تاير ماهان) (Alfred Thayer Mahan) (1840-1914)م سنة 1902، ووسعه مايكل ليدن وأطلق عليه نظرية "التدمير البناء" عامين بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م⁽²⁾، وروج له من الناحية المعرفة (صموئيل هنتينجتون) من خلال مقاله الشهير؛ "صدام الحضارات"، وطفًا على السطح في مطلع سنة 2005م، حين أدلت وزيرة الخارجية الأميركية "كونداليزا رايس" بحدِيث صحفي مع جريدة واشنطن بوست الأميركية، أفصحت فيه عن نية الولايات المتحدة في تبني نظرية "الفوضى الخلاقة" لنشر الديمقراطية بالعالم العربي وتأسيس "الشرق الأوسط الجديد"⁽³⁾.

ويعتبر كتاب: "القيادة العليا؛ الجيش ورجال الدولة والزعامة في زمن الحرب" لمؤلفه (أليوت كوهين) (Eliot Asher Cohen) (ولد سنة 1956) أحد المصادر المهمة لنظرية "الفوضى البناءة" حيث يرى كوهين أن الحملة على الإرهاب هي الحرب العالمية الرابعة، على اعتبار أن الحرب الباردة هي الثالثة، وأكد على ضرورة انتصار أمريكا في الحرب على الإسلام، إضافة إلى المخابر ومختلف المراكز البحثية كمؤسسة "أميركان انتربرايز" للدراسات التي يرأسها (راوول مارك غريشت)

¹ - راجع: - قوستاف لوبون: روح الثورات والثورة الفرنسية، تر عادل زعيتر، مصر: كلمات عربية للترجمة والنشر، 2012، ط3، ص21. وكذلك ص109 وما بعدها. ميز بين "روح الثورة الفرنسية" التي تأسست على قيم نبيلة هي: "الحرية والعدالة والمساواة"، وبين "واقع الثورة الفرنسية" التي فقدت مرجعيتها وآلت إلى سيطرة الرعاع وتحولت إلى فوضى عارمة كانت نتائجها عودة الملكية والنزعة الشوفينية إلى فرنسا.

² - راجع: - <http://www.alarabiya.net/ar/politics/> الفوضى الخلاقة.

³ - وكبيديا: م س.

(Reuel Marc Gerecht) المختص في الشأن العراقي والشيعية والمنظر للمحافظين
المجلد(1).

وتقوم مؤسسة "واشنطن لسياسات الشرق الأدنى" التي يشرف عليها روبرت
ساتلوف (Robert Satloff) منذ سنة 1993 بدور لا يقل أهمية عن المؤسسة السابقة
في صياغة نظرية (الفوضى البناء)⁽²⁾.

وللولايات المتحدة الأمريكية تجربة تاريخية كبيرة في استثمار حالة الفوضى
التي حصلت في أماكن كثيرة من العالم؛ ففي إيران نجحت في إعادة الشاه إلى سدة
الحكم أيام حكم مصدق، وباتتهاج طريقة الاحتواء المزدوج في التعامل مع الثورة
الإيرانية، نجحت في إشعال الحرب العراقية الإيرانية، وتعاملت مع الجمهوريات المستقلة
في روسيا إبان سقوط الشيوعية بنفس الطريقة.

¹ - يؤكد غيريشت أن إدارة الرئيس بوش بلورت مشروع "الشرق الأوسط الكبير" بالاعتماد على
أبحاث مؤرخين نافذين أمثال برنارد لويس من جامعة برنستون، وفؤاد عجمي من جامعة جونز
هوبكنز، ومن المعروف أن لويس أحد المناصرين لإسرائيل، وكان قد أعلن عقب حرب الخليج
الثانية عام 1991 عن موت العالم العربي ككيان سياسي، واقترح استخدام مصطلح "الشرق
الأوسط" بدلا من "العالم العربي"، أما فؤاد عجمي وهو من أنصار الليكود والمحافظين الجدد
فيعتبر الناطق الرئيسي للرؤية الطائفية للواقع الاجتماعي والسياسي في العالم العربي، وتحظى رؤيته
بقبول واسع الانتشار في صفوف الإدارة الأمريكية، ويمارس تحريضا متطرفا في مجمل القضايا
المتعلقة بالعالم العربي والإسلامي.

² - روبرت ساتلوف من أشد المعجبين بأفكار برنارد لويس، اقترح إقصاء مصطلحي العالم العربي
والإسلامي من القاموس الدبلوماسي الأمريكي، وأكد على ضرورة التعامل مع العالم الإسلامي
حسب خصوصية كل دولة على حدة، ومحاربة الإسلام بلا هوادة. راجع:-

http://en.wikipedia.org/wiki/Robert_Satloff

وبعد تحول السياسة الأمريكية من نظرية الاحتواء المزدوج التي تبنتها في الحرب الباردة، إلى احتواء العالم بالقوة، عمدت إلى نظرية "الفوضى البناءة" لتغيير الأنظمة والجغرافيا، كما حصل في تونس ومصر وليبيا ويحصل الآن في سوريا، ولا بأس من الاحتلال المباشر في ظل غياب استراتيجيات الردع كما في العراق وأفغانستان.

ويعتبر الرئيس جورج بوش الابن، أكثر من طبق هذه النظرية، لأنه مريض بهوس اعتقاده أنه المسيح المخلص. هذا الهوس الذي زاد رسوخا بقراءته لكتاب "قضية الديمقراطية" لمؤلفه الصهيوني الروسي الأصل، ناتان شارانسكي (Natan Sharansky) (ولد سنة 1948)⁽¹⁾.

ينطلق بارديغم "الفوضى البناءة" من مسلمة أساسها، أن الاستقرار في العالم الإسلامي يعتبر عائقا أساسيا أمام مصالح أمريكا في المنطقة، ولذلك لا بُد من اعتماد سلسلة من التدابير والإجراءات ضد دول العالم الإسلامي؛ كنشر الفوضى والفتن الطائفية، وإضعاف الدول وتفكيكها من الداخل، وإسقاط الأنظمة..

¹ - ناتان شارانسكي روسي، هاجر إلى إسرائيل، شغل منصبًا زارياً في حكومة شارون، تلتخص رؤية كتابه "قضية الديمقراطية" في اعتبار الإسلام حركة إرهابية لا تهدد إسرائيل فقط، وإنما العالم الغربي بأكمله، ويرى أن استئصال الإرهاب لا يتم باستخدام القوة وتحفيف المباح فقط، وإنما = بمعالجة الأسباب العميقة للإرهاب التي تنبع من سياسات الأنظمة العربية الاستبدادية والفاصلة، وثقافة الكراهية التي تنشرها، ويتفق شارانسكي بهذا الطرح مع الأطروحة الشهيرة لهانتغتون التي تنص على أن الإسلام عدو حضاري للغرب.

راجع: - http://en.wikipedia.org/wiki/Natan_Sharansky. كذلك موسوعة عبد الوهاب المسيري: اليهود واليهودية والصهيونية، قسم تعريفات ومصطلحات (ناتان شارانسكي).

وتنادي الجماعة التي تنضوي تحت هذا البراديغم باستخدام القوة العسكرية لتغيير الأنظمة كما حدث في أفغانستان والعراق، وتبني سياسة التهديد بالقوة التي تساهم في تفجير الأمن الداخلي للعالم العربي، وتشجيع وتأجيج المشاعر الطائفية وتوظيفها في تخليق الفوضى كما هو الحال في التعامل مع الوضع اللبناني والسوري والعراقي.

المبحث الثاني: بين الثقافة والمثقف

قبل الحديث عن علاقة المثقف بالبراديغم الثوري والمجال المعرفي، نبدأ بتجلية مفهوم الثقافة والمثقف في التداول العربي والإفريقي، وبطريقة التعريف وإعادة التعريف نستخلص مفهوم الثقافة ومفهوم المثقف على التوالي.

أولاً: مفهوم الثقافة

1- في اللغة العربية: رصد محمد بن عبد الكريم الجزائري للثقافة في لغة العرب عشرة معانٍ أساسية، حسب ما هو مدون في القواميس والمعاجم الموثوق بها عند علماء اللغة، يمكن إيجازها فيما يلي؛ الثقافة هي وجود الشيء ومصادفته. الظفر بالشيء على وجه الغلبة. العمل بالسيف. الخصام. شدة الحموضة. تسوية الشيء وتقويمه. سرعة وجود الشيء في الأذهان. الأسر والحبس. الحذق والمهارة في إتقان الشيء. الفهم والذكاء⁽¹⁾.

ولما شهد العالم الإسلامي تحولين كبيرين أبعدها عن الفهم الصحيح للدين وأدخله في حالة من الاضطراب المعرفي نتيجة الغزو الثقافي والمفهمي، فقد مرت الأمة الإسلامية بمرحلتين: الأولى حدثت في تاريخها القديم، حيث اعتكف المسلمون

¹ - راجع:- محمد بن عبد الكريم الجزائري: الثقافة ومآسي رجالها، الجزائر، شركة الشهاب، دت، ص 13،9.

في العصر العباسي وفي بيت الحكمة على ترجمة تراث الأمم القديمة بوساطة يهودية مسيحية، فتسربت إلى ثقافتنا مفاهيم شوشت على المسلمين فكروهم وشئتت وحدهم فتمزقوا إلى فرق متصارعة، كل فرقة تزعم لنفسها الصواب وللفرق الأخرى الضلال، ولا تخلو أغلب الفرق في مضامينها المعرفية من تلك المفاهيم الدخيلة. والثانية تتمثل فيما يحدث في عالمنا المعاصر، فقد دخل العالم الإسلامي في موجة غير منضبطة من الاحتكاك بالثقافة الغربية، حيث أزيلت كافة الحواجز بين عقل المسلم وبين المفاهيم الغربية، مما جعلها تسيطر تدريجياً على عقله، فأصبح صورة مشوهة للإنسان الغربي، ثقافة، لباساً، سلوكاً وتفكيراً، فالموسوعة الفلسفية لمراد وهبة ما هي إلا صورة مشوهة لموسوعة لالاند⁽¹⁾. والوجودية البداوية⁽²⁾ ما هي في الحقيقة إلا صورة مشوهة لوجودية سارتر، والحادثة العربية ما هي إلا استنساخ لواقع الحداثة الغربية⁽³⁾، وتعريف محمد عابد الجابري للثقافة ما هو إلا محاكاة لتعريف إدوارد تايلور Edward Tylor⁽⁴⁾،

¹ - يمكنك التحقق من ذلك بإجراء مقارنة بسيطة بين أي مفهومين وردا في الموسوعتين، ستجد أن هناك تحريف بسيط في التعبير بينما المعنى يبقى نفسه.

² - نسبة إلى عبد الرحمن بدوي الفيلسوف والمفكر المصري المعاصر (1917-2002).

³ - راجع: - طه عبد الرحمن: روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، بيروت، المركز الثقافي العربي، 2006، ط1، ص21 وما بعدها. حيث ميز بين روح الحداثة التي كان يجب على الأمة الإسلامية الأخذ بها، وواقع الحداثة الغربية الذي وقعت الأمة الإسلامية في تقليده رغم خطورة ذلك.

⁴ - قارن بين التعريفين التاليين: يقول إدوارد تايلور: ((الثقافة هي كل مركب يشمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف و كل ما يمكن أن يكتسبه الإنسان من إمكانيات وعادات على اعتبار انه عضو في مجتمع)) من كتابه: E.Taylor. Primitive Culture. First

وغيرها كثير. فحصلت البلبلة اللغوية وانعكس ذلك على البناء المفاهيمي للأمم، مما يجعلنا نتحاشى الخوض في التعريفات الاصطلاحية للثقافة والاكتفاء فقط بالجذر اللغوية واستعمالاته.

2- في لغة الإفرنج: لفظة الثقافة (La Culture) مشتقة من لفظ

(Couture) في لغتهم القديمة حوالي القرن الثاني عشر الميلادي، وهذه الأخيرة مشتقة من اللفظة اللاتينية (cultura) في القرون الوسطى، والمعنى الحقيقي لهذه الألفاظ الثلاثة، هو شق الأرض وفلحها وبذر الحبوب فيها وغرس أشجارها وجني الثمار وحصد الزرع وما إلى ذلك.

واشتق المعنى الاصطلاحي الأول للثقافة، في التداول الإفرنجي بالمقابلة بين الإنسان والأرض؛ فالأرض متى عُني بسقي تربتها وتسميدها، واختير مواسم فلحها، جادت بنباتات مغذية وثمار لذيدة، كذلك الإنسان، فمتى عني بتغذية عقله بالعلوم والمعارف وتنمية شعوره وعواطفه على حب الخير، حسنت أخلاقه واستقام سلوكه، وتبين له أن الحياة السعيدة، في اطمئنان الضمير وسلامة التفكير⁽¹⁾. غير أن علماء الغرب بعد ق 16م شرعوا في وضع معان مجازية للفظ "الثقافة" تمخض عنها تعريفات جديدة وكثيرة بكثرة الاختصاصات ومجالات الاستعمال نأخذ منها ثلاثة:

Edition. London. April, 1871. P07. يقول محمد عابد الجابري: ((الثقافة هي ذلك المركب

المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية، تشكل أمة أو ما في معناها، بجويتها الحضارية، في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء)) من

<http://www.almaghrebiya.com/?p=5917>

¹ - محمد بن عبد الكريم الجزائري: المرجع السابق، ص 14.

تعريف لالاند: ((الثقافة هي تنمية بعض القوى العقلية والجسمية بواسطة تمرين لائق))⁽¹⁾.

تعريف بول روبرت: ((الثقافة هي مجموعة من المعارف العامة في الآداب والفلسفة والفنون))⁽²⁾.

تعريف قاموس أكسفورد: ((الثقافة هي تهذيب العقل والذوق والسلوك بالتربية والتعليم))⁽³⁾.

بجمع الخصائص الجوهرية الموجودة في التعريفات السابقة ينتج لدينا التعريف التالي: ((الثقافة هي وعي في القلب ونضح في العقل، ويقظة في الضمير، واستقامة في السلوك، وإرهاق في المشاعر والأحاسيس، وحثق في الأشياء علما وعملا)).

انيا: مفهوم المثقف

1- مفهوم المثقف عند العامة: اعتقد البعض أن المثقف هو الذي يمتلك مقدارا كبيرا من المعلومات، بغض النظر عن نوع هذه المعلومات وصحتها ودقتها. والبعض الآخر اعتبره كل من حصل على قدر من التعليم بغض النظر عن الشهادة. والبعض الآخر اعتقد أن المثقف هو الذي اعتلى مكانة مرموقة في سلم التراتب الاجتماعي. وغيرها من التعريفات الكثيرة، هذه الكثرة التي أدت إلى غموض مفهوم المثقف عند شرائح كثيرة من المجتمع وحتى عند المثقف ذاته. وزادت هذا الغموض

¹ - André Lalande. Vocabulaire Technique et critique. Paris- Presse Universitaire de France 1951. P199.

² - Paul ROBERT. Dictionnaire Alphabétique et Analogique de le longue Francaise. (Culture).

³ - قاموس أكسفورد: تر: الطاهر خميري، تونس: سلسلة كتاب البعث، 1957، ص12.

شدة التحولات المعرفية⁽¹⁾ التي حصلت في العلمين الإسلامي والغربي على السواء، فمن هو المثقف؟

2- تعريفات المثقف: اختلفت تعريفات الثقافة باختلاف التوجهات

الفكرية والمداخل المعرفية، نأخذ من بينها التعريفات التالية:

يرى محمد عابد الجابري⁽²⁾ أن مفهوم المثقف، اتسع ليشمل جميع الذين يشتغلون بالثقافة، إبداعاً وتوزيعاً وتنشيطاً، بوصف الثقافة عالماً من الرموز يشمل الفن والعلم والدين⁽²⁾.

أما برهان غليون فيعتقد "أن المثقف هو فاعل اجتماعي جمعي وليس مجموعة أفراد يشتركون في نشاط مهني أو علمي أو ذهني واحد يقرب في ما بينهم. وعندما نتحدث عن فاعل اجتماعي فنحن نشير إلى قوة محرّكة ودينامية اجتماعية لا إلى مبدع فكري"⁽³⁾.

وهناك من حدد مفهوم المثقف حسب وظيفته الاجتماعية، وهنا يتقاطع نشاط المثقف مع غيره من الشرائح الأخرى في المجتمع كالمفكرين والأكاديميين ورجال

¹ - سقوط الماركسية أدى إلى تراجع المثقف العضوي وظهور المثقف الناقد، والمثقف التبريري، والمثقف الداعية، راجع: - خالد الحروب: المثقفون العرب في معرض فرانكفورت "غرامشي" التوجه والالتزام؟، صحيفة الاتحاد الإماراتية، العدد 10692، الأربعاء 29 شعبان 1425 / 13 أكتوبر 2004م.

² - محمد عابد الجابري: المثقفون في الحضارة العربية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000، ط 2، ص 24.

³ - برهان غليون وآخرون: المثقف العربي همومه وعطاؤه (تهميش المثقفين ومسألة بناء النخبة القيادية)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995، ط 1، ص 86.

الدين. مما أدى بالبعض إلى القول بضرورة الرجوع إلى الخطاب الذي يحمله للتمييز بينه وبين غيره⁽¹⁾.

وهناك من رأى أن توقف الخلافة العثمانية وقيام الدولة العربية الحديثة، أنتج المثقف العربي الجديد الذي تميز بالاحتكاك مع الغرب⁽²⁾، فتأثير الفكر الماركسي مثلاً أنتج ما يسمى بالمثقف العضوي⁽³⁾، وتأثير الفكر الليبرالي أنتج المثقف العلماني.. وهناك مصطلح الانتلجنسيا، الذي استخدم لأول مرة بروسيا في القرن السابع عشر للإشارة إلى النخبة المثقفة⁽⁴⁾.

وواضح أن تعريف الجابري استقاه من تعريف تايلر للثقافة، وتعريف برهان غليون تغلب عليه النظرة الحتمية الاجتماعية لدوركام. أما التعريف الذي ربط مفهوم

¹ - ميحان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2002، ط3، ص155.

² - خير الدين حسيب وآخرون: ندوة المثقف العربي ومهامه الراهنة، مجلة المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد51، 1983، ص112، 113.

³ - حدد عبد الله العروي المثقف العربي في ثلاثة رجال: رجل الدين ورجل السياسة والتكنوقراط، وأطلق عليهم اسم المثقف العضوي الذي تتحدد به القضية الأساسية للمجتمع العربي، الأول يضعه في خانة الإيمان، والثاني في التنظيم السياسي والثالث في النشاط العلمي والتقني. راجع:- عبد الله العروي: الإيديولوجيات العربية المعاصرة، تر محمد عيتاني، بيروت: دار الحقيقة للطباعة والنشر، 1981م، ط4، ص31. غير أن العروي في تحليلاته يسقط ما يحصل في التاريخ الغربي على التاريخ الإسلامي.

⁴ - راجع:- محمد الدقس وآخرون: الانتلجنسيا العربية المثقفون والسلطة (الانتلجنسيا العربية الواقع والطموح ملاحظات أولية)، عمان: منتدى الفكر العربي بالتعاون مع اتحاد المحامين العرب والجمعية العربية لعلم الاجتماع، 1988، ط1، ص141.

المثقف بالوظيفة الاجتماعية، فتغلب عليه النزعة البرغماتية، أما التعريف الأخير فلا يمكن للمثقف أن يكون مقلدا وتابعا، بل يجب أن يكون مبدعا ومتبوعا، لأن المثقف هو الذي يضيف إلى المعرفة جديدا يمكنه من المساهمة في حركة التاريخ والمجتمع، وهو الذي يستطيع أن يبلور وعيه المعرفي في عقيدة يشارك بها في البناء الحضاري وحركة التاريخ.

3- تعريف المثقف: استنادا إلى التعريفات والمفاهيم السابقة للثقافة والمثقف ينتج ما يلي: المثقف هو الذي انفتح قلبه ونضج عقله واستيقظ ضميره واستقام سلوكه وأصبح مرهف الحس والوجدان وحذق في الأشياء علما وعملا، وبلغ مرتبة الفتوة واستطاع أن يبلور رؤية معرفية جديدة يشارك بها في سيرورة البناء الحضاري وحركة التاريخ وهو الذي يتوفر على الخصال التالية:

الحرية: وتحقق بمغالبة جميع السلطات التي تضغط على وجدان المثقف والتحرر من آثارها في نفسه.

الاستقرار الذهني: ويكون بتوفر وسائل العيش والأمن وقلة المشكلات وعدم الشقاق واعتدال السياسة وما إلى ذلك.

الثقة بالنفس: ويحصلها من اعتماده على دينه وشعوره وتفكيره وضميره ولغته، فمن فقد الشعور فقد التفكير ومن فقد التفكير فقد الدين ومن فقد الدين فقد الأخلاق ومن فقد الأخلاق فقد العلم ومن فقد العلم أصبح كالأنعام بل هو أظل سبيلا.

الأمل في المستقبل: المثقف عليه أن لا يقنط من رحمة الله، ويتحلى بالنظرة التفاؤلية للمستقبل.

الشجاعة الأدبية: المثقف يجب أن يصدع بما توحى به ثقافته ويعرض عن الجاهلين ويتصدى للجهل والخرافات.

القدوة الحسنة: المثقف يجب أن يكون قدوة ومثلاً أعلى ومظهراً صادقاً لكل ما يدعو إليه.

التحصيل المعرفي: تحصيل المعرفة واكتساب آليات الاستشكال والتوصيل، يجنب المثقف الفقر المعرفي والتسول الثقافي، على أعتاب الثقافات الأخرى.

مخالطة الناس: المثقف يجب أن لا يبني لنفسه برجاً عاجياً يتمترس فيه ويبقى حبس خيالاته، بل لا بد أن ينصهر في المجتمع بخيره وشره.

المبحث الثالث: علاقة المثقف بالبراديغم الثوري والحقل المعرفي.

أولاً-تعريف الثورة

1- في التداول الإسلامي: قال ابن منظور: "ثار الشيء ثوراً وثوراً وثوراناً وتثور: هاج، والثائر: الغضبان، ويقال للغضبان أهيج ما يكون: قد ثار ثائرة وفار فائرة، إذا غضب وهاج غضبه. وثار إليه: وثب. ويقال: انتظر حتى تسكن الثورة وهي المهيج، وثار الدخان والغبار وغيرهما: ظهر وسطع"⁽¹⁾. وسمي الثور ثوراً لأنه يهيج في ثورته. وقال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا سِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (البقرة: 71)، أرض مثارة إذا أثيرت بالسنن و هي الحديدية التي تحرث بها الأرض وأثار الأرض قلبها على الحب بعدما فتحت مرة⁽²⁾.

¹ - ابن منظور: لسان العرب، بيروت: دار صادر، 2003، ج3، ص54.

² - نفسه.

و "ثار الغبار: هاج، ومنه قيل للفتنة: ثارت وأثارها العدو، وثار الغضب: احتد، وثار إلى الشر: نحض، وأثاروا الأرض: عمروها بالفلاحة والزراعة"⁽¹⁾.
 المعجم الوسيط "ثارَ يَثُورُ ثَوْرَانًا وَثَوْرًا وَثَوْرَةً: هَاجَ وَانْتَشَرَ. وَأَثَارَهُ إِثَارَةً وَإِثَارًا: هَيَّجَهُ وَنَشَرَهُ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿فَأَثَرُنَا بِهِ نَقَعًا﴾ (العاديات: 4)، وَأَثَارَ الْأَرْضَ: حَرَّثَهَا لِلزَّرْعَةِ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا﴾ (الروم: 9).
 ويقال: أثارَ الأمرُ: بَحَثَهُ وَاسْتَقْصَاهُ. وَفِي الْأَثَرِ: "أَثَرُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنْ فِيهِ خَيْرَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ"⁽²⁾.

والثورة هي "نقطة تحوُّل في حياة المجتمع لقلب النظام البالي وإحلال نظام تقدمي جديد محلّه، وهي بهذا تتميز من الانقلاب الذي يتلخص في نقل السلطة من يد لأخرى"⁽³⁾.

وهي عند البعض الآخر "تحرك شعبي واسع، خارج البنية الدستورية القائمة، أو خارج الشرعية، يتمثل هدفها في تغيير نظام الحكم القائم في الدولة، وهي بهذا المعنى تغيير لشرعية سياسية قائمة لا تعترف بها وتستبدلها بشرعية جديدة"⁽¹⁾.

¹ - أحمد الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت،: مكتبة لبنان، 1987، كتاب الناء، "ثار"، ص34.

² - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2004، ط4، ص102.

³ - مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983، ص58.

من هذه التعريفات يمكن التمييز بين نوعين من الخصائص؛ سلبية وإيجابية، تنتج عنهما دلالتين لمفهوم الثورة⁽²⁾ بحسب تلك الخصائص:

أ- الخصائص الإيجابية: حرث الأرض وزراعتها، عمارة الأرض بالفلاحة والزراعة، البحث والاستقصاء. التغيير بشكل عمودي جذري للسلطة.

ب- الخصائص السلبية: الهيجان، الفتنة، الغضب، الانتشار السريع دون تدرج، المباغة والفجائية، والتغير الجذري المفاجئ.

الدلالة الإيجابية تفيد التحول للأفضل بنوع من التدرج في التغيير، إثارة الأرض بالحرث وباستخراج ما في باطنها من خيرات، ثم زراعة الأرض وفلاحتها لتنتج الثمار، وتصنيع الثروات الباطنية لإنتاج مختلف الحاجيات، وهذا المعنى أطلق عليه البعض "الثورة الروحية"⁽³⁾، وهو يقترب من معنى الإصلاح لكن لا يماثله، لأن الإصلاح ينطلق من النفس ويتجه تدريجياً إلى الأسرة والأمة. وما قام به الأنبياء

¹ - عزمي بشارة: مفهوم الثورة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الرابط:-

www.dohainstitute.org

² - اختلف الفقهاء في مسألة الخروج على الحاكم، والحكم الشرعي على الثورة بالتحريم أو الإجازة، رغم أنه مبني على (سد الذرائع) خشية وقوع فتنة أشد، وعلى الاختلاف في تقدير المصلحة والمفسدة في ما يسمى (فقه الموازنات)، إلا أن السبب الحقيقي هو اضطراب وعدم وضوح مفهوم الثورة عند بعض الفقهاء، وعند الجماهير العريضة التي خاضت غمار الثورة. مما دفع بالبعض إلى اعتبار الثورة مصطلح شيوعي.

³ - راجع:- محمد العبادي: مصطلح الثورة في القرآن الكريم، مقال الرابط

<http://www.aafaq.org/vb/showthread.php?t=696>

عليهم السلام كان تغييرا جذريا شمل جميع المستويات لكن لم يوصف بالثورة، لأنه اتسم بالسلم والتدرج والهدوء والمرحلية.

بينما الدلالة السلبية تربط مفهوم الثورة بالهيجان والانتشار السريع والفجائية والتغيير الجذري.

وإذا حاولنا الموازنة المنطقية بين الدالتين لاستخراج مفهوم الثورة، وجدنا أن كفة الدلالة الإيجابية تغلب كفة الدلالة السلبية، أما إذا رجعنا إلى الواقع ، وجدنا العكس للأسباب التالية:

أولاً: إن تتبع السيرة الذاتية لمصطلح الثورة تاريخاً وتطوراً ومآلاً في التداول الإفرنجي، - الذي سنفصل فيه بعد هذا المطلب- بين أنه يحمل من الدلالات السلبية، ما يؤدي إلى اختفاء كل ما يمت بصلة للدلالة الإيجابية.

ثانياً: إن الغزو المفاهيمي الذي اجتاحت الحقل المعرفي لأمتنا، قام بتغذية الخصائص السلبية الموجود في المعنى الأصلي للثورة، وحجب القلوب والعقول عن الخصائص الإيجابية، فغدا التغيير الجذري لا يقف عند أنظمة الحكم وإنما يستهدف جميع أفكار وقيم وفضائل المرحلة السابقة.

ثالثاً: إن التغيير الجذري الفجائي الذي تقتضيه الثورة، إضافة إلى الهدم التام والتخريب، يؤدي كذلك إلى التنكر التام لأفكار وقيم المرحلة القديمة، وهذا لم يكن موجوداً أبداً في تاريخنا الإسلامي، فالرسول ﷺ لم يهدم فضائل وقيم عرب الجاهلية، وحتى الذين خرجوا من الناس عن حكاهم، ميزوا بوضوح بين القيم الإسلامية النبيلة وبين ظلم وجور الحكام.

رابعاً: مفهوم الثورة لم يكن متداولاً في تراثنا الإسلامي، كما تم تداول مفاهيم الإصلاح والتجديد والتغيير والنهضة واليقظة وغيرها من المفاهيم التي لا غبار

عليها، مما أضفى عليه نوع من الشك والغموض، فاندفع الآخر إلى تقوية الجوانب السلبية لاستغلاله لصالحه.

فأصبح مفهوم الثورة الآن: هي التغيير الجذري الفجائي السريع الانتشار، الذي يصحبه الغضب والهيجان والفتنة وما تقتضيه من القتل والتخريب والهدم والتكر التام لأفكار وفضائل وقيم المرحلة القديمة.

هذا ما دفع البعض إلى استعمال لفظ الانتفاضة بدل لفظ الثورة، ورغم أن هذا المصطلح "الانتفاضة" واسع الاستعمال في المدلول العامي، إلا أن المفكر المغربي طه عبد الرحمن خصص فصلا شيقا من كتابه: "الحق العربي في الاختلاف الفلسفي" لبيان معنى الفتوة المنتفضة وركائز تكوينها، فقسم مراتب الإنسان إلى ثلاثة: الرجولة والمروءة والفتوة، يرتفع الإنسان في سلم هذه المراتب حسب درجة تَدْيُّنِهِ، فكلما زاد تَدْيُّنًا زاد أخلاقا فينتقل من درجة الذكورة إلى درجة الرجولة، ومنها إلى المرءة ومنها إلى الفتوة المنتفضة وهي أعلى المراتب الأخلاقية، لا تتحقق إلا إذا بلغ الإنسان درجة عالية من التدين⁽¹⁾.

ومن هنا فالثورة في نظره لا تحصل إلا بتكوين فتية، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى﴾ (الكهف: 13)، وقال أيضا: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء: 60). فتية يقومون بالتغيير بلا ضرر ولا ضرار، ويتولون زمام الحضارة.

¹ - راجع:- طه عبد الرحمن: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2002، ط1، ص169 وما بعدها.

2- الثورة عند الإفرنج: ورد في قاموس المعاني أن Révolution تحمل

المعاني التالية؛ عصيان، انقلاب، تمرد، تدويم، دوران، ثورة⁽¹⁾. وهذه المعاني السلبية التصقت بالمصطلح "ريفوليسيو" منذ إن انحرفت الثورة الفرنسية عن مبادئها، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد ثار الناس على سلطة الكهنة في الكنيسة، ثم تمردوا على الدين نفسه، ومن هنا نشأت (العلمانية). كما ثاروا أيضاً على الإقطاع، فمزقوا (الملكية الفردية) وما تستصعبه من مفاهيم وأفكارٍ وقيم أروسطوقراطية، وكانت الشيوعية والماركسية التي تعتقد أن "الثورة إحدى وسائل النمو والتطور الاجتماعي، وتهدف الثورة الاشتراكية عنده إلى التخلص من الرأسمالية، والقضاء على استغلال الإنسان لأخيه الإنسان"⁽²⁾. وهكذا مع كل ثورة يتم التنكر التام ليس فقط للنظم الحاكمة؛ بل للقيم والأفكار التي يعتبر الثوار أنها هي التي قامت عليها النظم السياسية التي ثاروا عليها⁽³⁾.

فقد ارتبط مفهوم الثورة -خاصة في القرن العشرين- بالصراعات الدموية وأعمال العنف التي حصدت مئات الأرواح في سادية غريبة على نوع بني البشر، كما أن الفكر الماركسي -خاصة- يعتمد (العنف) و (التحول الدموي) وسيلةً وحيدةً للثورة والانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية، ويرفض قيام الثورة من خلال الوسائل

¹ - قاموس المعاني: عربي إنجليزي الرابط: -

<http://www.almaany.com/home.php?word=revolution>

² - جميل صليبا: م س.

³ - راجع: - شعبان الطاهر: علم الاجتماع السياسي قضايا العنف السياسي والثورة، القاهرة:

الدار المصرية اللبنانية، 2003، ص50 وما بعدها.

السلمية. يقول ماو تسي تونج: "على كل شيوعي أن يدرك هذه الحقيقة: من فوهة البندقية تتبع السلطة السياسية"، كما يقول: "وبهذا المعنى يمكننا أن نقول: إنه لا يمكن إصلاح العالم كله إلا بالبندق" ⁽¹⁾.

وهكذا عبر تاريخ طويل من الثورات، تغذى مصطلح الثورة وأصبح مثقلا بالدلالات السلبية، خاصة العنف والتخريب والقتل والتدمير والهدم، وساهم في ذلك، الإعلام بمختلف قنواته، والسينما، والشبكة العنكبوتية، فغدت الحضارة المعاصرة حضارة عنف، العنف في كل شيء حتى في الفرح والأكل.

3- علاقة المثقف بالثورة: أردت أن أفتح هذا العنصر بنص لهيفاء

الجندي اقتطفته من مقال لها بعنوان: "الثورة السورية والمثقف.. جدلية الحضور والغياب"، حيث تقول: "كسرت الثورة السورية نخبوية ونرجسية المعرفة والثقافة وأسقطت عددا من المثقفين النخبويين، الذين اغتربوا عن الواقع وانكفأوا في أبراجهم العاجية، وحطت الثورة أبويتهم الفكرية وحالة القدسية والصنمية التي أحاطت بهم وبمشروعهم الفكري. مع الثورة يكون قد تراجع دور المثقف النمطي النرجسي الذي يتدع النظريات دون أن يأخذ في الحسبان أن الاختبار الفعلي للأفكار هو الواقع.

لم يكن سقوط المثقف النخبوي إلا إعلان ولادة ما يسمى بالمثقف الهامشي، الوثيق الصلة بمثقف غرامشي العضوي، والفرق بين الاثنين أن الأخير ارتبط بطبقة اجتماعية أساسية صاعدة لها علاقة بخصوصية التركيب والبنیان الاجتماعي الإيطالي، الذي شهد تمايزا طبقيًا واضح المعالم، بينما ارتبط المثقف الهامشي بشعب

¹ - خالد محمد خالد: أزمة الحرية في علمنا، القاهرة: دار المقطم للنشر والتوزيع، 2006،

غالبية من مهمشي الأرياف والأطراف، ويعود ذلك لطبيعة المجتمع السوري الذي يختلف عن سائر المجتمعات بتركيبية طبقية معقدة وتداخل طبقاتها وأنماط إنتاجها"⁽¹⁾.
في البداية يبدو النص قائما على تحليل جديد يتجاوز الرؤية الماركسية لمفهوم الثورة، ولكن عند الإفراغ من قراءة المقال يكتشف المرء أنها لم تخرج عن التحليل الماركسي، وأكدت ذلك بنفسها حين ختمت مقالها بقولة للمفكر الماركسي عبد الله العروي.

لهذا فالتركيبات اللغوية المتناقضة والغريبة كـ"الثورة الاجتماعية" و"الثورة الثقافية" و"الثورة الاقتصادية" و"الثورة الصناعية" و"الثورة الزراعية" لا تستقيم من الناحية المنطقية لأنها عادة تريد أن تجمع بين الشيء ونقيضه أو ضده، وهذا المنطق الجدلي معروف عند الشيوعية.

وقد تبين أن لفظ الثورة أصبح مثقلا بالدلالات السلبية كالمهيجان الذي مبعثه التدمير، وهذا يعاكس تماما لفظ المثقف الذي مبعثه الاستقرار الفكري والانفتاح القلبي والاطمئنان النفسي، فكيف يصح في القلوب والعقول السليمة أن تكون لفظة الثورة صفة ونعتا للمثقف؟ فإن قال قائل: إنما يراد بصيغة "المثقف والثورة" التغيير أو التجديد، قلنا أن هذا القول مردود من وجهين:

أولا: إن الخروج من الحقيقة إلى المجاز، لا يجوز في الألفاظ العلمية والتعاريف المحددة، حتى لا يقع التباس في المفاهيم، فتختلط المعاني ويضيع المقصود.

¹ - المقال موجود في الرابط: - <http://www.alarab.co.uk/?id=10737>

ثانيا: إن التغيير هو تحويل الشيء وتبديله بشيء آخر ضده، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11)، أي أن الله لا يسلب قوما نعمة وعافية حتى يستبدلوا الأحوال القبيحة بالأحوال الجميلة⁽¹⁾.

وخلاصة القول أن المثقف بمفهومه الحقيقي لا وجود له عند الشيوعيين، بل هو في مفهومهم صفة من صفات البرجوازيين، يجب أن تزول بزوالهم، والعمل على هذا الزوال فرض عين على كل فرد من أفراد المذهب الشيوعي في مشارق الأرض ومغاربها. وهذا ما جعل هيفاء الجندي تضع مصطلح "المثقف الهامشي" مكان الطبقة العمالية البلوريتاريا، و"المثقف النخبوي" مكان الطبقة البرجوازية.

ثانيا- تحولات البراديجم وتأثيرها على الحقل المعرفي

1- تحول البراديجم: إن الفكر اليساري الذي اصطبغت به الممارسة المعرفية

في العالم الإسلامي منذ ستينيات وسبعينيات القرن الماضي أفضى إلى اتجاه معاكس يدعو إلى التأصيل ورفض العلوم الإنسانية الغربية وتعويضها بعلوم إنسانية إسلامية، فتأسست مدارس معرفية في مصر والعراق وباكستان وإيران وتركيا، وتعززت أكثر بعد تأسيس جمهورية إيران الإسلامية التي تبنت رسميا ضرورة تغيير هوية العلوم الإنسانية⁽²⁾، وكان للعلماء العراقيين دعم معرفي قوي لهذا الاتجاه، نظرا لأن القطر

¹ - محمد بن عبد الكريم الجزائري: م س، ص 98.

² - أبرز من ساهم في تغيير هوية العلوم الإنسانية، إبراهيم يزدي الذي ولد سنة (1931، قزوين) وهو سياسي وناشط إيراني، شارك في ثورة مصدق عام 1951، وكان يبلغ يومها العشرين عاما. درس الصيدلة في جامعة طهران، وأسس حركة سياسية سميت بحركة تحرير إيران، وكانت تمثل التوجه الليبرالي للشباب الإيرانيين. واضطر إلى الهروب من بطش الشاه، وعاش وعمل في أحد المراكز الطبية الشهيرة في تكساس بالولايات المتحدة، متخصصا في أبحاث الجينات

العراقي قد تهيأ مبكراً منذ عشرينيات القرن الماضي إلى مثل هذه التحولات الفكرية، وبالضبط انطلاقاً من الموصل وبغداد، وساهم السنة والشيعية كل من جهته، فيما حصل من تغيرات وصدرت لهم مؤلفات كثيرة منها خاصة: مؤلفات محسن عبد الحميد ومحمد باقر الصدر ومحمد تقي المدرسي وعماد الدين خليل وغيرهم كثير، وسرعان ما وصل صدق هذه الدعوة إلى الجزائر فتحوّلت الجامعات إلى فضاء حيوي لتنشيط الدعوة لهذه التجربة الجديدة وتمت ضيافة رموز فكرية من جنسيات مختلفة تحسب على هذه التجربة الجديدة منهم عبد الحليم عويس، عاطف الزين وغيرهم.

كما تبنت الجزائر ملتقى رسمياً من ملتقيات الفكر الإسلامي، تطرق إلى الفكر الاجتماعي في الإسلام وشهد حضوراً قوياً من داخلها وخارجها، وقد كان من المساهمين الجزائريين البارزين فيه آنذاك محفوظ سماتي، محمد العربي ولد خليفة، عبد المجيد مزيان أحمد طالب الإبراهيمي، وكان لإيران وفداً الرسمي الممثل بقيادة محمد الهادي خسرو شاهيان.

هؤلاء جميعاً حاولوا التأكيد على أهمية إحلال مشروع منهج التغيير الإسلامي في العلوم الإنسانية على غرار ما كان يحصل في العالم آنذاك من تحولات ضمن هذا المنظور، وقد شهدت مدينة وهران في نفس تلك الفترة المتزامنة وصول عالم الاجتماع

والخلايا. وهنا تبني فكرة أسلمة المعرفة، وبعد نجاح الثورة الإيرانية وسقوط نظام الشاه شغل منصب وزير الخارجية في الحكومة المؤقتة عام 1979، وخلال حكم الإمام الخميني، كان يزدي يحظى بمكانة شعبية، أما بعد وفاته بسنين قليلة، ألغى الحزب الذي كان يتأسسه، وتعرض لملاحقات ومحاكمات منذ عام 1997، وحوكم مرة أخرى عام 2009، بسبب مناصرته للحركة الخضراء حكم عليه بالسجن ثماني سنوات منذ 2011. أهم كتبه ((مساعي الأيام الأخيرة)).

الأمريكي من أصل تركي شريف ماردين⁽¹⁾، ليحاضر عن مالك بن نبي وعن أهمية توظيف أفكاره في مجال الاهتمام السوسولوجي الإسلامي.

منذ تلك الفترة تراجمت العلوم الإنسانية تراجعاً واضحاً، فلا الفكر اليساري الذي هو في مرحلة الأفول، كان قادراً على تجاوز هذه الحالة المعرفية الجديدة والمعقدة، ولا الدولة استطاعت أن تعطي التيار الجديد ممثلاً في المشروع الإسلامي ما أعطته من دعم من قبل للتيار اليساري، نتيجة تغير الموازنة السياسية على الصعيد العالمي حيث تجد الدولة نفسها ملزمة ببرجماتية دقيقة مع كل القوى الفاعلة داخلها وخارجها.

لذلك ونتيجة لهذا الترتيب السياسي العالمي الجديد راحت السلطة السياسية شيئاً فشيئاً تبحث عن الخبرات الأجنبية للاستفادة منها للتحكم في نتائج التغيرات التي تحصل في المجتمع، فسُلمَّ زمام أمر المجتمعات الإسلامية إلى المخابر الغربية، وحصلت مفارقة رهيبية بين المثقف المسلم والبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها. وكانت المحاولات الرائدة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي هي البديل الذي ملأ الفراغ المعرفي، من خلال تفعيل الحقل المعرفي للأمة الإسلامية وإنقاذها من السكتة المعرفية.

2- تراجع دور المثقف: التحولات السابقة أدت إلى تراجع دور المثقف

ونفور المجتمع منه، لأنها تسببت في انقلاب المفاهيم وزوال المقولات التي كان يتبناها، وتورط الكثير من المثقفين في غلبة الممارسة السياسية على الممارسة الثقافية، إضافة إلى ظهور العالم المتخصص وغيرها من العوامل، أدت إلى انفلات المجتمع من قبضة المثقف، لأنه لم يستطع الوفاء بوعوده الثقافية، فوقع في حيرة؛ هل سيساهم في البناء

¹ - راجع كتابه: Religion and Social Change in Modern Turkey: The Case of

Bediuzzaman Said Nursi, Albany, NY: State University of New York Press, 1989

الحضاري الذي أصبح بعيد المنال، نظرا لتحكم الخبرة الأجنبية في المجال المعرفي؟ أم يكتفي بتفسير ما يحدث حوله؟ وكان سؤال المثقف الجوهري؛ كيف له أن يستعيد دوره الاجتماعي؟

"إن الخطاب ليس مجرد وحدة لغوية مفارقة، وإنما وحدة من وحدات الفعل الإنساني والتفاعل والاتصال والمعرفة، وإنه ليس كياناً ثابتاً، جامداً، من الكلمات والدوال، وإنما حقل فعال من المشاغل والاهتمامات والتوترات والصراعات والتناقضات التي تكشف عن تنظيم المجتمع ومؤسساته وأبنية القوى وأدوارها"⁽¹⁾. وتتحدد أهمية الخطاب بحسب المرجعية، وتتعدد أدوار المثقف بتعدد خطاباته⁽²⁾.

وبما أن المثقف هو من يملك زمام الوعي، ويستطيع تحريك العقل الراكد ووضع الكثير من النقاط على الحروف، لأنه يرى ما لا يراه غيره، فهو مكلف وملزم بنذ كل مظاهر التشرذم والتفرقة التي تؤدي بالمجتمع إلى الهاوية وتمزق نسيجه القيمي والثقافي والديني، وإن من اشد مظاهر الفرقة هي الطائفية.

الخاتمة

في نهاية هذه المقالة، نمضي قدماً إلى رصد نتائجها، هذه النتائج التي يمكن إيجازها في نقاط جوهرية أهمها: إن تتبع السيرة الذاتية لمصطلح الثورة، تطوراً وتاريخاً ومآلاً، يؤكد أنه تم تشغيل دلالاته السلبية وتغذيتها بحيث، فوّضت تماماً كل الخصائص التي لها علاقة بالدلالة الإيجابية.

¹ - جابر عصفور: آفاق العصر، بيروت: دار المدى للثقافة والنشر، 1997، ط1، ص73.

² - راجع: - حسن حنفي: تحليل الخطاب، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد 19،

1423هـ/2002م، ص222، 224.

السبب الأساسي الذي جعل الأمة الإسلامية تتبنى المفهوم السلبي للثورة، يرجع إلى تعطيل الحقل المعرفي لها، والتشويش عليه وذلك بإغراقه في مفاهيم لا تمت بصلة إليه.

جميع المؤسسات عمدت إلى تنشئة المسلم على نوع من القابلية للاحتواء من طرف الثقافة الإفرنجية، في نفس الوقت الذي نمت فيه الرؤية السلبية لثقافته الأصلية، مما جعله بوعي أو بغير وعي يقتدي بالبراديغم الغربي، ويتخذة مثالا في جميع ميادين الحياة.

لهذا نقترح ضرورة إنشاء مراكز بحث رسمية تسهر على إعادة بناء المفاهيم، سواء الأصلية بإعادة الحياة إليها، أو المفاهيم الدخيلة بتفكيكها وإعادة بنائها بما يتوافق وثقافتنا. والله أعلم.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب والمؤلفات

- 1- أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002م.
- 2- أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ط2، دار الفكر، سوريا، 1999م، ص20.
- 3- أكرم عبد الرحيم: التحديات المستقبلية للتكامل الاقتصادي العربي.. العولة والتكتلات الإقليمية البديلة، دط، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002م.
- 4- السيد الحسيني: النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم، د ط، دار المعارف، القاهرة، 1975م.
- 5- ألفين توفلر: خرائط المستقبل، ط1، تر، أسعد صقر، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1983م.
- 6- باشلار غاستون: تكوين العقل العلمي، ط2، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1982م.
- 7- برهان غليون وآخرون: المثقف العربي همومه وعطاؤه (تعميش المثقفين ومسألة بناء النخبة القيادية)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1995م.
- 8- برينتون كرين: تشكيل العقل الحديث، د ط، تر: شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1984م.

- 9- جابر عصفور: آفاق العصر، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، 1997م.
- 10- زكرياء إبراهيم: مشكلة البنية، ط1، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1972م.
- 11- طه عبد الرحمن: روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، ط1، المركز الثقافي العربي، 2006م.
- 12- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، إعادة ط3، تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2000م.
- 13- مالك بن نبي: شروط النهضة، د ط، تر عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، 2009م.
- 14- مالك بن نبي: تأملات، ط5، دار الفكر، الجزائر، 1991م.
- 15- محمد الدقس وآخرون: الانتلجنسيا العربية المثقفون والسلطة (الانتلجنسيا العربية الواقع والظموح ملاحظات أولية)، ط1، منتدى الفكر العربي بالتعاون مع اتحاد المحامين العرب والجمعية العربية لعلم الاجتماع، عمان، 1988م.
- 16- محمد بن عبد الكريم الجزائري: الثقافة ومآسي رجالها، دط، شركة الشهاب، الجزائر، دت.
- 17- محمد عمارة: الإسلام وقضايا العصر، ط1، دار الوحدة، بيروت، 1980م.
- 18- محمد عابد الجابري: مسألة الهوية.. العروبة والإسلام والغرب، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997م.
- 19- محمد عابد الجابري: المثقفون في الحضارة العربية، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000م.
- 20- ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2002م.
- 21- عبد الكريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985م.
- 22- عبد الله العروي: الإيديولوجيات العربية المعاصرة، ط4، تر محمد عيتاني، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، 1981م.
- 23- محسن عبد الحميد: صراع الأفكار في المجتمع الإسلامي، ط1، مطبعة وزارة التربية، بغداد، 1998م.
- 24- ساطع الحصري: الإقليمية جذورها وبذورها، دط، دار العلم للملايين، بيروت، 1961م.

- 25- عبد الحميد الإبراهيمي: في أصل الأزمة الجزائرية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001م.
- 26- عبد الله العروي: الإيديولوجيا العربية المعاصرة، ط4، تر محمد عيتاني، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، 1981م.
- 27- عبد الله الريماوي: الإقليمية الجديدة، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1970م.
- 28- عمر فروخ ومصطفى الخالدي: التبشير والاستعمار، ط2، المكتبة الجديدة، بيروت، 1979م.
- 29- روجر هيوك وآخرون: البحث النقدي في العلوم الاجتماعية مداخلات شرقية- غربية عابرة للاختصاصات، ط1، تر: إيليز أغزريان، معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، جامعة بير زيت، فلسطين، 2011م.
- 30- رفاعة رافع الطهطاوي: تخلص الإبريز في تلخيص باريز، دط، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، دت.
- 31- شبلي العيسي: عروبة الإسلام وعالميته، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1985م.
- 32- توفيق المدني: المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي (دراسة)، دط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، بيروت، 1997م.
- 33- خليل نوري مسيهر: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، ط1، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق، 2009م.
- المعاجم والقواميس
- 1- ابن منظور: لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، 1992م.
- 2- أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1977م.
- 3- الجرجاني: كتاب التعريفات، طحج، دار الكتاب العربي، بيروت، 2002م.
- 4- الفيروزبادي: القاموس المحيط، ط8، ت: مكتب التحقيق في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005م.
- 5- محمد علي الفاروقي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،
- 6- منير البعلبكي: قاموس المورد، دط، دم.
- 7- قاموس أوكسفورد: دط، تر الطاهر لحميري، سلسلة كتاب البعث، تونس، 1957م.
- المجلات والدوريات

- 1-أياد الفزار: صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية التمهيدية لعلم الاجتماع في الولايات المتحدة الأمريكية، مجلة المستقبل العربي، العدد 278، السنة24، نيسان 2002.
- 2- جلال أمين: العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث، مجلة المستقبل العربي، العدد 234، السنة21، آب 1998م.
- 3- وفاء محمد كامل: البنيوية في اللسانيات، مجلة عالم الفكر، المجلد 26، العدد2، أكتوبر - ديسمبر 1997م.
- 4- حسن حنفي: تحليل الخطاب، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد 19، 1423هـ-2002م.
- 5- عبد النور ناجي: منظمات المجتمع المدني في تحقيق الحكم الراشد في الجزائر، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سطيف، عدد5، 2007م.
- 6- خير الدين حسيب وآخرون: ندوة المثقف العربي ومهامه الراهنة، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد51، 1983م.
- قائمة الكتب والبحوث المستلة من الشبكة العنكبوتية
- 1-محمد جابر الأنصاري: الهوية العربية أسيرة التاريخ، 23-10-2003م، موقع صحيفة الحياة؛ www.darhyat.com.
- 2- محمد خالد عمر: الهوية وتفاعل العروبة والإسلام، مجلة الفكر السياسي، العدد17، السنة05، حريف وشتاء 2002م، من الموقع؛ www.awu-dam.org.
- 3- سالم يفوت: هويتنا الثقافية نحو تناول نقدي، مجلة فكر ونقد، العدد11، من الموقع الشخصي لمحمد عابد الجابري رحمه الله، www.aljabriabed.org.
- 4- عبد العزيز بن عثمان التويجري: الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي، رسالة التقريب، العدد23، من الموقع؛ www.taghrib.org.
- 5- عبد العزيز نميرات: هويتنا الثقافية في ظل تحولات العولمة.. من الاختراق إلى الممانعة، مجلة الكلمة، العدد21، السنة05، حريف 1998م، من الموقع؛ www.kalema.net.
- 6- شريف يونس: الهوية وسلطة المثقف في عصر ما بعد الحداثة، 22-12-2002م، من الموقع؛ www.rezgar.com
- الندوات والمؤتمرات الفكرية

1- ندوة (التياسات المفاهيم في الفكر الإسلامي المعاصر) وهي ندوة فكرية نظمتها مجلة (قضايا إسلامية معاصرة) الصادرة عن مركز دراسات فلسفة الدين في بغداد، وقد شارك فيها مجموعة من الأكاديميين المتخصصين، العددان (24-25) صيف وخريف 2003م.

مراجع باللغات الأجنبية

- 1-André Lalande. Vocabulaire Technique et critique. Paris- Presse Universitaire de France 1951.
- 2-Ferdinand de Saussure: cours de linguistique générale, édition critique préparée par Tulio De Mauro, Payot; Paris.
- 3-Kuhn: The Road Science Structure.
- 4-Masterman Margaret: "The Nature of a Paradigm" in Criticism and The Growth of Knowledge, Lakatos and Musgrave, (Eds), Cambridge University Press, Cambridge, 1970.
- 5-Sarkar Sahotra: Decline and Obsolescence of Logical Empiricism, Carnap vs. Quine and The Critics, Taylor & Francis(Eds), Garland Publishing, INC.New York&London, 1996.
- 6-Paul Robert. Dictionnaire Alphanétique et Analogique de le longue Francaise. (Culture).
- 7-Religion and Social Change in Modern Turkey: The Case of Bediuzzaman Said Nursi, Albany, NY: State University of New York Press, 1989.